

تطبيق المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية وتحديات الواقع

د. أحمد تريكي

جامعة طاهري محمد – بشار

Trikihmed506@yahoo.com

الملخص:

يدور الموضوع حول دواعي الحديث عن المرافقة البيداغوجية للطلاب في الجامعة الجزائرية، من حيث إنه منذ بضعة سنوات بدأت الجامعة الجزائرية بالبحث واكتشاف أو إعادة اكتشاف البيداغوجيا. وأن الأساتذة الباحثين الجامعيين في الجزائر لا يتلقون حتى الآن التكوين البيداغوجي الكافي. وأن هذا الاعتماد للمرافقة البيداغوجية لم تعرفه الجامعة الجزائرية إلا لأسباب استجرت في العالم الغربي بحيث أصبحت مرافقة الطلبة مهمة وملحة وواجبة، بها يتحقق رفع مردودية التعليم العالي.

إلا أنه لا يمكن الحديث عن المرافقة البيداغوجية دون الأخذ بعين الاعتبار العوامل المحيطة بهذه العملية على المستوى المادي والمعنوي والبشري والبيداغوجي والمنهجي... لأن هذه العملية مشروطة بمدى توافر تلك العوامل وكذلك بمدى استعداد الأستاذ والطلاب لخوض هذه العملية كي لا تتحول إلى روتين دون جدوى.

Abstract:

The subject of this intervention revolves around the reasons talk about pedagogic accompaniment of the student at the Algerian university, in term of it is since few years ago the Algerian university, has begun to research, discover or rediscover pedagogy. And the university research professors in Algeria didn't receive until now any pedagogic formation. And that such accreditation for pedagogic accompaniment didn't been known by Algerian university except for reasons arisen in the western world so that the student accompaniment became an urgent and necessary task, by which the revenue of higher education upload is achieved.

However, we cannot talk about pedagogical accompaniment without taking in consideration the factors surrounding this process at the material, moral, human, pedagogical and methodological level... because this process conditional on extent by the availability of these factors as well as the extent of readiness of the teacher and the student

to go through this process so as not to become routine without success.

المقدمة :

يتضح للمتتبع لشأن التعليم العالي في الجزائر أن الإصلاح الشامل الذي شهدته الجامعة الجزائرية والمتمثل في نظام (ل.م.د) وقف على عملية بيداغوجية في غاية الأهمية تمثلت في المرافقة البيداغوجية للطلاب الجامعي بهدف التقرب منه قصد تمكينه من الاندماج في الحياة الجامعية. وهذه العملية لا تقل أهمية عن نقل المعرفة أو التكوين التطبيقي، ويدخل في صميمها نشر ثقافة الجهد والبذل في أوساط الطلبة. كما أنها عبارة عن حوار بين الطلبة والأستاذ المرافق تقدم فيه إجابات مناسبة عن موضوعات مختلفة مثل: المتابعة للطلبة في المسار البيداغوجي، والتكفل ببعض نقائصهم، تعريف الطلبة بالمناهج الحديثة في البحث المكتبي والتحكم في استعمال التقنيات متعددة الوسائط، وكذا تنظيم أعمالهم الشخصية.

وعليه فإننا نعني بالمرافقة البيداغوجية في ورقتنا هذه تلك العلاقة التكوينية بين الأستاذ والطالب أو مجموعة من الطلبة في حالة تعلم. ويمكن أن يكون ذلك من طرف جميع الأساتذة أو من طرف بعضهم من أصحاب الكفاءة، أو الأساتذة الذين يتلقون إعداداً خاصاً لتولي هذه المهمة، حسب قدرات وإمكانات وظروف كل كلية وكل قسم.

لذلك سوف نركز على المشاكل التي يعاني منها كل من الأستاذ الجامعي والطالب، قصد الوصول إلى وضع تصور حول جدوى المرافقة البيداغوجية للطلاب في الجامعة الجزائرية وذلك من خلال محاولة الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: إلى أي مدى يمكن أن تنجح المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية؟

والذي تتفرع منه التساؤلات الرئيسية التالية :

1 - ما هي أسباب اعتماد المرافقة البيداغوجية؟

2 - كيف تتم عملية مرافقة الطالب بيداغوجياً؟

3 - هل يمكن أن تساهم هذه المرافقة في تحسين جودة التعليم؟

أولاً: أسباب اعتماد المرافقة البيداغوجية.

فلئن برزت المرافقة في بدايات القرن العشرين مع المجتمعات الصناعية في إطار تحسين أداء العمال وتيسير اندماج العمال في وسط العمل وقد استفاد منها كعادته القطاع التعليمي.

فتاريخ الفكرة إذاً لها جذور متفرقة وذلك حتى قبل الثورة الصناعية في أوروبا وبالأخص في فرنسا، ولكن هناك من يرجع هذه الفكرة إلى العصر الحديث فقط، وذلك في مجال المؤسسات والشركات التي تخضع والشركات التي تخضع لاقتصاد السوق، حيث جرت العادة فيها على وضع موظفيها الجدد تحت وصاية موظف مقتدر له خبرة في المنصب، والهدف من ذلك هو تأطير وتعليم الموظف الجديد أصول العمل، وذلك لتحقيق أكبر قدر من التقنية والتمكن من الإنتاج في أقرب وقت وبأقل الأضرار... وبالتالي رفع من مردودية الشركة والموظفين⁽¹⁾... وبالتالي اعتمدت المرافقة البيداغوجية للطلاب الجامعي في أوروبا لمستجدات فيها جعلت منها مهمة ملحة من أجل رفع المردودية، ونذكر منها نسبة الرسوب، العدد الكبير للطلبة، عدم تكيف الطلبة مع الفضاء الجامعي.

وفي ظل الحديث عن المرافقة البيداغوجية للطلاب الجامعي وأسباب اعتمادها في الجامعة الجزائرية، يجب أن نضع في اعتبارنا الصورة الحقيقية لما تشهده مؤسساتنا الجامعية من اكتظاظ ونقص التأطير ومشاكل الإيواء والإطعام والنقل، وقلة التوظيف. وهذه كلها فرضت إعادة النظر في نظام التعليم العالي وإصلاحه، وجاء ضمن هذا الإصلاح المرافقة البيداغوجية للطلاب، حيث كان يجب القضاء على التهميش الذي يحصل للطلاب الجامعي بسبب عدد الطلبة الهائل، ومن ثم لا بد من تكريس بيداغوجية القرب، أي التقرب من الطالب من طرف الأستاذ بغرض توجيهه ودعجه، وذلك في عدة محاور كالمحور الإعلامي والإداري (الوساطة مع الإدارة)، الجانب البيداغوجي (مساعدة في انجاز الأعمال البيداغوجية)، محور منهجي (تدريب على البحث العلمي)، جانب تقني (مساعدة في فهم التقنيات المختلفة)، جانب نفسي (اهتمام بالجوانب النفسية والاجتماعية)، وجانب مهني (تعريف بالأوساط المهنية).

كما أن ضعف التكوين السائد في الجامعة الجزائرية وعدم تطابق التخصصات مع سوق العمل كانت من بين أهم أسباب إصلاح التعليم العالي وبالتالي مرافقة الطالب لتفادي تلك الأسباب، وضمان أداء أفضل يسمح بتجاوز الصعاب وضمان نتائج دراسية أحسن. وفي هذا الصدد يقول الحكيم الصيني "كيواتزو" (إذا كنت تخطط لسنة فاغرس بذرة، وإذا كنت تخطط لعشر سنوات فاغرس شجرة، وإذا كنت تخطط لمائة عام فعلم إنساناً، فعندما تزرع بذرة واحدة فإنك تحصد محصولاً واحداً، وعندما تعلم الناس تحصد مائة محصول)⁽²⁾.

وبصفة عامة فإن اعتماد نظام المرافقة البيداغوجية يعود أيضا إلى ارتفاع نسبة الرسوب التي كانت سائدة، وهذا ما تتفق عليه معظم الدراسات، حيث تقرر أن نسبة الرسوب خصوصاً في الأطوار الأولى من الدراسات الجامعية هي التي فرضت فكرة المرافقة على الجامعة، فيرى فوفانا⁽³⁾ أن الجامعات الأمريكية ترى نفسها مسؤولة عن رسوب طالب ومغادرته الدراسة لأنها عندما قبلته في تحضيرتها، إنما كان نجيباً وله مستوى يسمح له الدخول إليها، ولما هو لم يكمل دراسته أو لم ينجح، فالجامعة هي المسؤولة عن ذلك لذا وجب مرافقته إلى أن يصل إلى بر الأمان، فالمرافقة حتمية لا مفر منها.

وهكذا فإن اكتظاظ الجامعات بالأعداد الكبيرة من الطلبة ووجود بعض الطلبة غير المتكفين في ظل نظام (ل.م.د) الذي أنشأ مسارات قصيرة المتمثلة في ثلاث سنوات كانت أيضاً من أسباب اعتماد المرافقة البيداغوجية.

ثانياً: أهداف ومبادئ المرافقة البيداغوجية للطلاب.

1 - الأهداف :

تهدف المرافقة البيداغوجية إلى تقديم عدة خدمات للطلاب يمكن اجمالها في النقاط التالية :

- _ متابعة الطلبة في مسارهم البيداغوجي عن طريق التكفل ببعض نقائصهم.
- _ دعم الطلبة في اكتساب مناهج العمل الضرورية لنجاحهم.
- _ تعريف الطلبة بالمناهج الحديثة في البحث المكتبي، والتحكم في استعمال التقنيات متعددة الوسائط.
- _ تقديم مساعدات للطلاب وتشجيعه على الاجتهاد.
- _ مساعدة الطلبة في تنظيم أعمالهم الشخصية (كمراجعة المحاضرات وتحضير التمارين، اعداد البحوث والاطلاع على المراجع...).
- _ تقديم مساعدات بيداغوجية.
- _ ارشاد الطالب في التعامل مع نظام التعليم العالي.
- _ فتح مدارك الطالب في المعارف ومجال المعلوماتية.
- _ الاستماع للطلبة لخلق وبناء علاقة وجو من الثقة بينهم وبين الأساتذة من خلال تقديم الدعم والنصح.

— التقليل من حجم الشعور بالانطوائية، والإحباط لدى بعض الطلبة بمحاولة تشجيعهم، وإعطائهم نظرة إيجابية عن المستقبل.

2 — المبادئ:

تتمثل مبادئ المرافقة البيداغوجية فيما يلي:

— الثقة والاحترام.

— الإصغاء.

— المرونة.

— الموضوعية والواقعية.

— الاستشارة.

— التعاقد: يستحسن أن تكون المرافقة بطلب من الطالب بقصد مساعدته على التفاعل الإيجابي مع المستجدات، ومتطلبات الدراسة الجامعية، ويمكن أن تكون بقرار الفريق البيداغوجي.

— التعاون: تتوج زيادة المرافقة بمحاورة تتميز بروح تشاركية تقوم على الإنصات، وتفهم الأسباب والتفكير في الحلول.

— التشاور: يتشاور المرافق مع الطالب المرافق بخصوص الحلول المقترحة⁽⁴⁾.

ثالثاً: معوقات المرافقة البيداغوجية للطالب في الجامعة الجزائرية.

إن مهمة المرافقة البيداغوجية يعترها كثير من الصعوبات والعوائق لا من حيث التدريب ولا من حيث توفر الإمكانيات فقط، بل حتى الأستاذ المرافق يعتبر مغامراً لأنه ليس متأكداً مما يقوم به لأنه لم يتم تحضيره من حيث الاتجاهات والمعارف والمهارات. وهذا عامل في حد ذاته إذا أضيف إلى العوامل التي نذكرها لاحقاً سوف يؤكد سلفاً فشل المرافقة البيداغوجية للطالب في الجامعة الجزائرية. وبداية لا يتوفر فضاء للاجتماع بالطلبة، كما أن الإدارة الجامعية تفتقر إلى هيئة مستقلة تضع خططاً بعيدة المدى من حيث الأهداف والغايات الواجب تحقيقها، بالإضافة إلى الأهداف قصيرة ومتوسطة المدى الموضوعية للجامعة (كالمرافقة) قد تتغير بمجرد أزمة سياسية أو مالية طارئة.

وهناك أيضاً عامل عدم تجاوب الطلبة مع المرافقة لأنه غير ملزم بذلك، كما يشكل عدد الطلبة المتزايد تحدياً، حيث يصل إلى 2 مليون طالب في حين أن (الهياكل المنجزة عاجزة عن

مواكبة تلك الزيادات العددية للطلبة وذلك بالرغم من المجهودات المبذولة⁽⁵⁾ وفي المقابل لا تتوفر الجامعة الجزائرية على العدد الكافي من الأساتذة من مصاف الأستاذية والمحاضرين، فأمام هذا التزايد في أعداد الطلبة تصبح استعدادات الجامعة وإمكاناتها غير كافية، فقد يصل أعداد الطلبة في المحاضرة الواحدة إلى 300 طالب أو يزيد وفي الأعمال الموجهة والتطبيقات يتجاوز في بعض الحالات الـ 40 طالبا في الفوج الواحد. وهذا يؤثر سلباً على العمل البيداغوجي والتأطير والمرافقة وبالتالي على المردودية لدى الأساتذة، وضعف التحصيل والتكوين بسبب ضعف التأطير.

فطغى الكم على النوع في التعليم العالي في مقابل ضعف هياكل الاستقبال رغم جهود الدولة الكبيرة في بناء الأقطاب الجامعية والجامعات الضخمة. ورغم الفتوحات التي تتم سنوياً من مشاريع كثيرة فإن اشكالية العجز مازالت مطروحة بحدة في مجال الهياكل والمؤطرين ونوعيتهم. يضاف إلى ذلك ضعف مدخلات الجامعات من المرحلة الثانوية، وزيادة حدة الاضطرابات الجامعية، حيث لا تخلو سنة جامعية من العديد من الاضطرابات لسبب ودونه. وتبقى المرافقة البيداغوجية للطلاب الجامعي في الجزائر دون جدوى خصوصاً وأن الحافز المادي هو الحافز الوحيد الذي يشجع الأساتذة على الانخراط في نشاط المرافقة، إلا أن هذا الحافز ذاته غير كاف باعتباره يحسب ضمن الساعات الإضافية. وإيضاً نقص التوعية بأهمية المرافقة البيداغوجية، التي لا تقنع الأساتذة ولا الطلبة، خاصة في ظل وجود احتكاك دائم بين الأساتذة والطلبة، وعدم وجود مبررات المرافقة بالنسبة لغالبية الطلبة.

بالإضافة لما سبق ذكره هناك قلة خبرة الأساتذة، وكثرة المقاييس التي يتحملها الأساتذة، كما أن البداية الفعلية للدروس في الجامعة تكون في الغالب متأخرة ونهايتها مبكرة. وفي ضوء تلك النقائص فإنه أيضاً "توجد فجوة كبيرة بين مخرجات النظم التعليمية واحتياجات أسواق العمل ويزيد هذه الفجوة التغير السريع في احتياجات سوق العمل الناجم عن العولمة وعن متطلبات التقانات السريعة التطور"⁽⁶⁾. مما يخلق عزوف الطلبة ليس فقط عن الدراسة والتعلم والنجاح بل وعن المرافقة البيداغوجية أيضاً، وبالتالي تدني التحصيل المعرفي لديهم لأنهم أمام مصير مجهول بعد التخرج فيما يخص العمل، وحتى إذا حصل الطالب على منصب عمل فإنه يكون غير كفؤ له.

وبالتالي فإن العقبات التي تواجه المرافقة البيداغوجية في جزء كبير منها هي نفسها التي تواجه نظام (ل.م.د). فقلة التأطير والتطبيق الشكلي للمرافقة البيداغوجية دون محاولة فهم محتواها وهدفها الحقيقي جعل هذا النظام التعليمي غير قادر على تحقيق الطموحات المرجوة منه خاصة تحقيق جودة التعليم.

وأن هذا النظام (ل.م.د) صممه (الأنجلوساكسونيون) لطلبة من المفروض أن يشكلوا هم أنفسهم مساهمهم ويشاركوا في تكوينهم، بينما النظام التربوي الحالي لا ينتج سوى تلاميذ سلبين تعودوا على الحفظ والتلقين والتسميع في الامتحانات التي يجرونها طول العام.⁽⁷⁾ وواقع الأمر أنه مع ضعف التأطير المزمّن، فإن الجامعة الجزائرية بعيدة عن المقاييس الدولية. فبعض الكليات والأقسام تلجأ إلى الاستعانة بالمدرسين المتعاقدين بشكل قوي إلى درجة كانوا يستعينون بمحامي شهادة الليسانس من أجل تغطية الاحتياجات في التكوين في الأعمال الموجهة والتطبيقية، وفي أحيان أخرى في المحاضرات. وتمثل نسبتهم الثلث تقريباً من مجموع المدرسين.

فالعوائق إذن يمكن أن تكون بشرية ويمكن أن تكون مادية أي يمكن أن يكون الأستاذ هو السبب كما يمكن أن يكون الطالب أو الإمكانات المادية، أما الأستاذ فنقص التكوين والمعلومة عن هذه المهمة يؤدي إلى الشك والريبة، مما يجعله غير متحمس ومتخوف فـ "كل جديد مخيف" كما يقال، وأما الطالب فقد يعزف عن الحضور للقاءات الأستاذ المرافق أو إذا حض فلن يتجاوب معه. وعن الوسائل المادية فكما ذكرنا يمكن أن تتمثل في عدة أمور كالفضاء الذي تتم فيه لقاءات الأستاذ المرافق بالطلبة، أو في النصوص التنظيمية غير الواضحة أن وجدت، أو المعلومات المتعلقة بأشكال التكوين والمتعلقة أيضاً بالمحيط السوسيواقتصادي من أجل توجيه الطالب في اختياراته في مساره التكويني وفي مشروعه المهني.⁽⁸⁾

رابعاً: التغيرات المطلوبة لتفعيل المرافقة البيداغوجية للطالب الجامعي.

تفترض المرافقة البيداغوجية تحديد إمكانات مادية وبشرية وكفاءات وقدرات مطلوبة قبل البدء بالعمل بها والتي تعتمد أساساً على الجدارة والصرامة في التطبيق. وأيضاً يجب الاهتمام في المرافقة البيداغوجية بدوافع الأساتذة والطلبة وتوفير مكانة اجتماعية ومالية لائقة للمدرسين وتعتمد التغيرات المطلوبة للمرافقة البيداغوجية على ما يلي:

— أولاً: التدريب البيداغوجي للمدرسين الذين يتعين عليهم أن يرافقوا الطلبة، بحيث يتبعوا أساليب تربوية أكثر ابتكاراً واتسماً بالطابع التفاعلي والاستفادة من كل الامكانيات المتوفرة وتمكين الطلاب من الاستفادة منها، وبالتالي يجب تأهيل الأساتذة تأهيلاً يمكنهم من استيعاب عملهم التعليمي ويكونوا عناصر كفؤة في هذا المجال.

— ثانياً: وضع حوافز وبنى تشجع الأساتذة المرافقين على أن يعملوا متضافرين، ومن ثم التغلب على الاختلال القائم بين أنشطة التدريس وأنشطة المرافقة. كما يفترض أن يكون الطلبة أطرافاً مشاركة في حياة المؤسسة وإدارتها من أجل تنمية روح المبادرة وحب المسؤولية وثقافة التضامن في نفوسهم.

ولا يمكن أن تكون المرافقة السليمة للطلاب إلا في هياكل مريحة واسعة تخدم العلم مصممة لذلك مزودة بما تستوجب هذه العملية البيداغوجية لأنه لا يمكن أن يتم ذلك والأستاذ يتسول أبسط معداته التعليمية، فإن عطاءه لا محالة سيتدنّى مهما كانت كفاءته وإرادته. وعندما تتحقق المرافقة المطلوبة وفق ما سلف ذكره نكون هنا بصدد نجاح في تحقيق الأهداف المسطرة.

الخاتمة:

وفي ختام هذا الموضوع نذكر أن الجامعة الجزائرية مازالت تعاني من عدة نقائص يؤثر بعضها في بعض وساهمت في انخفاض مستوى التعليم، وأهمه كما ذكرنا سوء التسيير، تزايد أعداد الطلبة، نقص المرافق والمؤطرين، نقص التوظيف بالنسبة للمتخرجين الجامعيين، كما تعاني الجامعات من احتجاجات الطلبة شبه المستمرة. هذه المشاكل وغيرها جعلت من المرافقة البيداغوجية مهمة في غاية الصعوبة.

وأن نظام (ل.م.د) بكل متطلباته ضمن المشكلات والتحديات التي تواجهه والتي ذكرنا معظمها والتي قد نضيف إليها - بسبب قلة الأسابيع الدراسية الفعلية نظراً للتأخر في الدخول الجامعي والإضرابات - مشكلاً آخر وهو الوقت الذي هو أهم التحديات.

إن تحقيق الفائدة المرجوة من المرافقة البيداغوجية يتطلب المزيد من الجهود لضمان نجاح الجامعة في زيادة فرص الارتقاء بالمستوى، بالإضافة إلى تشجيع الطلبة على هذه العملية وإشراكهم فيها. وفي المقابل يتوجب على التعليم العالي تزويد الأفراد المعنيين بهذه العملية بالمعارف والمهارات التي يحتاجون إليها لإنجاح هذه العملية البيداغوجية، ولكن هذا يتطلب اعتماد طرق وأساليب جديدة مبتكرة، وامكانيات مادية تليق بمجمل هذه العملية،

تطبيق المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية وتحديات الواقع

بالإضافة إلى ذلك يتعين على مؤسسات التعليم العالي أن تستثمر في تدريب أعضاء هيئة التدريس كي يتمكنوا من الاضطلاع بهذه المهام الجديدة التي يفرضها تطور نظم التعليم، كما يجب أن تكون جميع الجهات الفاعلة المعنية بذلك.

قائمة المراجع :

- 1 – Abou Fofana, Pour une organisation pratique du tutorat dans le système L.M.D en Afrique, plan de formation et d'autoformation du tuteur, Editions publibook, Paris, France, 2011, p. 11.
- 2 – الصعيدي عبد الله، الاستثمار التعليمي بين التكلفة والعائد، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 51، سنة 1992، جمهورية مصر العربية.
- 3- Abou Fofana, op. cit. p. 11.
- 4 – Régine Sirota, Entrée à l'université et tutorat méthodologique, déclinaisons des mises en place institutionnelles d'un dispositif de formation et autonomie des universités, Paris, France, 2003, pp.8 – 10.
- 5 – بن محمد نعيم، "التعليم العالي في الجزائر التحديات والرهانات وأساليب التطوير"، موقع معهد الهقار(www.hoggar.org)
- 6 – برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام 2002، ص.03.
- 7- Abou Bekr, « Pourquoi une recherche scientifique en Algérie » in, Le quotidien d'Oran du 09-02-2006.
- 8 - المرسوم التنفيذي رقم 09 - 03 المؤرخ في 6 محرم 1430 الموافق 3 يناير سنة 2009 والذي يوضح مهمة الاشراف ويحدد كفاءات تنفيذها، المادة 07.